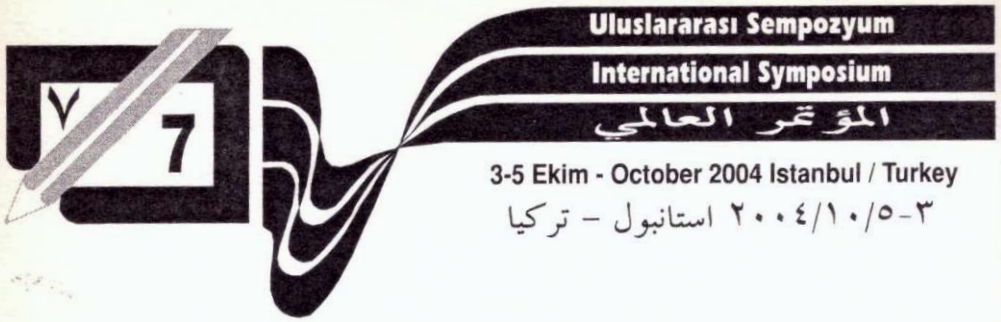

المؤتـــمر العالمي الســـابع
لبديع الزمان سعيد النورسي

ممارسة حياة ايمانية فاعلة

في سلام ووئام في عالم متعدد الثقافات
من خلال رسائل النور

الطبعة الأولى
١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م
Ekim 2004
الترقيم الدولى
ISBN: 975-269-043-2
شركة نسل للطبع والنشر والتوزيع

العنف
أسبابه وعلاجه من منظور رسائل النور

احمد شعبان
مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة
المدينة المنورة

ملخص البحث :

العنف سمة من سمات العصر غير محصور بدين أو بشعب أو بدولة، وله أسباب كثيرة، بينها بديع الزمان في رسائله، ترجع في مجملها عند المسلمين إلى : ضعف الإيمان، والجهل، والأنانية، وعدم معرفة الروابط الإيمانية .

وأما عند غير المسلمين ؛ فترجع إلى الأسس الخمسة التي قامت عليها مدنيتهم، وهي : القوة، والمنفعة، والجدال، والعنصرية، وتشجيع الأهواء والنوازع .

وقد وقف بديع الزمان موقف الرافض لهذا العنف لما له من أضرار جسيمة على الأمم والشعوب ؛ لكنه فرق بين العنف الدائر داخل المجتمع المسلم والعنف المتبادل بين المسلمين وغيرهم، وبناء على هذا التفريق فقد قسمت البحث إلى فصلين؛ تحدثت في الأول عن: أسباب العنف عند المسلمين، والعلاج الذي قدمه بديع الزمان لاستئصاله من بلادهم، وبينت أن العمل الإيجابي البناء في إطار المحافظة على وحدة المجتمع، والتربية الدينية الصحيحة، إضافة إلى الاحترام المتبادل، والرحمة، والابتعاد عن الحرام، والحفاظ على الأمن، ونبذ الفوضى والغوغائية؛ كل ذلك كفيل بإيقاف مسلسل العنف في بلاد المسلمين.

وتحدثت في الثاني عن أسباب العنف بين المسلمين وغيرهم، والحلول التي قدمها بديع الزمان في رسائله لإيقافه، مبيناً أن هذه الحلول تتسم بالموضوعية والشمول، وتوفر للعالم الأمن والاستقرار، وتضمن لكل طرف حقوقه وممتلكاته.

العنف أسبابه وعلاجه من منظور رسائل النور

العنف بمعناه الشامل وهو استخدام القوة سمة من سمات العصر، غير محصور بدين أو بشعب أو بدولة، غير أنه بالمسلمين ألصق نظراً للضغوطات الكبيرة التي يتعرضون لها من الداخل[1] والخارج في غياب مرجعية تدافع عن حقوقهم، وتنتصف لهم ممن ظلمهم، الأمر الذي حدا بكثير منهم إلى حلول فردية غير مدروسة وُصفت بالإرهاب، وصارت منبوذة ومحاربة من قبل جميع الأنظمة العالمية، ونتج عن ذلك صراع وعنف داخلي وخارجي يحصد كل يوم عشرات الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ.

وللنُّظُم الغربية يد في إذكاء وتنمية هذه الظاهرة عند المسلمين بطرق مباشرة وغير مباشرة لاستغلالها وسيلة للضغط على الدول الإسلامية، ومن ثَمَّ السيطرة على خيراتها كما فعلوا في العراق وأفغانستان.

فما هي نظرة بديع الزمان إلى هذه الظاهرة ؟ وما هي الحلول التي قدمها في رسائله ؟

قبل الإجابة على هذين السؤالين وغيرهما من الأسئلة الكثيرة التي تحيك في النفوس يجب أن نعلم أن بديع الزمان رحمه الله تعالى قضى حياته كلها في جهاد لإعلاء كلمة الحق ولإنقاذ البشرية بأسرها من أوحال الجهل والتخلف والعنصرية، وقد شاهد بأم عينه المصائب والهزائم التي لحقت بالدولة العثمانية، وعانى في سبيل ذلك آلاماً شديدة، وكان يقول رحمه الله : ((إنني أستطيع أن أتحمل كل آلامي الشخصية ولكنَّ آلام الأمة الإسلامية سحقتني، إنني أشعر بأن الطعنات التي وجهت إلى العالم الإسلامي وجهت إلى قلبي أولاً ولهذا تروني مسحوق الفؤاد))[2] .

ولكنه ومع كل هذه الآلام كان متفائلاً بالنصر ويقول لإخوانه : ((ولكني أرى نوراً سَيُنْسِينَا هذه الأيام الحالكة بإذن الله))[3] .

هذه الثقة العظيمة بالله وبنصره هي التي جعلت بديع الزمان يتابع مسيرة الجهاد بكل عزيمة واقتدار، ولكن جهاده كان من نوع خاص، ليس فيه أي نوع من أنواع العنف والشدة، إنه جهاد دعوة ونصح، وإرشاد الناس إلى حقائق القرآن، ومكافحة الفقر والجهل والخلاف الذي هو ألد أعداء إعلاء كلمة الله[4].

لقد كان بديع الزمان يؤمن بأن العمل الإيجابي البناء هو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب دون أن يرد إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عداء للآخرين أو التهوين من شأنهم؛ ولذلك نراه يعارض إحدى الحركات التي أثارت الأكراد على الدولة ويقول لهم بلسان الناصح المشفق : ((الأكراد مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً، إن السيف لا يشهر إلا بوجه الأعداء الخارجيين، إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدائنا، لذا أرى أن تصرفوا نظركم عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك آلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة المجرمين))[5] .

كان يحمل على كاهله هموم أمته التي مزقها الاختلاف والفرقة فكان يهتف بأعلى صوته: "أيها العالم الإسلامي إن حياتك في الاتحاد وإن موتك في الفرقة والاختلاف[6] .

ومن هنا نستطيع أن نجزم بأن هذا الرجل الذي هيأ الأدوية الناجعة لجروح الإنسانية لا يمكن أبداً أن يدعو إلى العنف أو يفسر الإسلام على أساس العنف حتى مع الأعداء الخارجين، كان يؤمن بأن الجهاد الحقيقي معهم يجب أن يكون بالإقناع ويقول:" أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء. لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً"[7].

ولهذا فإننا نرى أن رسائل النور قد تجردت عن التيارات السياسية رغم قدرة بديع الزمان على تحليل الأحداث تحليلاً فكرياً سليماً ليبتعد عن العنف الذي توصل إليه الأحزاب السياسية.

وقد فرق رحمه الله بين العنف الدائر داخل المجتمع المسلم والعنف المتبادل بين المجتمع المسلم وغيره من المجتمعات ويقول: ((الفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر))[8] .

وعلى هذا الأساس فقد قسمت البحث إلى فصلين اثنين: تكلمت في الأول عن أسباب العنف في المجتمع الإسلامي وعلاجه من منظور رسائل النور. وتكلمت في الثاني عن أسباب العنف بين المجتمع الإسلامي وغيره من المجتمعات وعلاجه من منظور رسائل النور.

الفصل الأول:

العنف في المجتمع المسلم أسبابه وعلاجه من منظور رسائل النور

أولاً: الأسباب:

من المعلوم لدينا جميعاً أن الخلاف هو أبرز العوامل التي يترتب عليها العنف بين المسلمين سواء أكان هذا الخلاف فكرياً أم مذهبياً أم سياسياً أم غيره.

كما أن من المعلوم أيضاً أن الخلاف بكافة أشكاله و أنواعه شيء تفرضه طبيعة الفطرة التي فطر الله الناس عليها كما دلّ على ذلك قوله سبحانه { ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم }[9].

وبناء عليه فيجب أن يبقى هذا الخلاف في دائرة الفكر والحوار ولا يجوز بحال من الأحوال أن يتخذ أي شكل من أشكال العنف وخاصة بين المسلمين أنفسهم المأمورين بالتراحم والتعاطف والتكاتف، ولهذا نرى بديع الزمان يعارض وبشدة تلك الحركة التي أثارت الأكراد على الدولة ويقول لهم: " نحن الأكراد مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه فهذا لا يجوز شرعاً"[10].

ويعلل بديع الزمان ذلك بأن الاتفاق لا يتحقق بالتخويف والإكراه بل بالرجوع إلى شريعة الرسول ρ والنظر إلى المقاصد السامية التي ندين الله بها جميعاً[11].

ويرجع بديع الزمان أسباب العنف الدائر بين المسلمين إلى أمور أبرزها : ضعف الإيمان، والجهل، والأنانية، وعدم معرفة الروابط الإيمانية التي تربط أهل الإيمان بعضهم ببعض[12].

ثانياً: العلاج :

ينبغي قبل الكلام عن العلاج أو الحلول التي قدمتها رسائل النور لظاهرة العنف بنوعيه الداخلي والخارجي أن نعلم أن هذه الحلول لم تكن حلولاً جزئية لواقع عايشه بديع الزمان داخل خريطة جغرافية ضيقة، ولكنها حلول شاملة للعالم بأسره مسلمه وكافره، وهذا ما نلمسه بوضوح في رسائله من خلال عمق النظرة وشمولية الخطاب الشامل الموجه إلى الناس تارة وإلى العالم والبشرية تارة أخرى.

إن أهم الأمور التي ركز عليها بديع الزمان في علاجه لظاهرة العنف هي العمل الإيجابي البناء في إطار وحدة المجتمع والمحافظة على نظامه وأمنه الداخلي، يقول رحمه الله:

((نعم، إن في مسلكنا قوة. إلا أننا لم نقم باستعمالها إلا في تأمين الأمن الداخلي. لذا قمت طوال حياتي بتحقيق الأمن الداخلي اتباعاً لدستور الآية الكريمة: { ولا تزر وازرة وزر أخرى }[13] أي لا يجوز معاقبة إنسان بجريرة أخيه أو أحبائه. إن هذه القوة لا يمكن استعمالها إلا ضد الهجمات الخارجية. إن وظيفتنا – وفق دستور الآية الكريمة المذكورة – هي الإعانة على ضمان الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة.لهذا السبب لم تشتعل نار الحروب الداخلية المخلة بنظام الأمن .

مثلاً: إنني لم أدعُ بالسوء حتى على المدعي العام الذي اتخذ علينا القرار الجائر رغم أنني قد أثبت أخطاءه البالغة واحداً وثمانين خطأً ؛ لأن المسألة الأساسية في هذا الزمان هو الجهاد المعنوي، وإقامة السد المنيع أمام التخريبات المعنوية، وإعانة الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة))[14] .

ويقول أيضاً: ((أما في الداخل فالأمر ليس هكذا . ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بنَّاء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل، وقد أحسن إليّ المولى سبحانه وتعالى بملايين من الطلاب الحقيقيين. فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي، فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في الوقت الحاضر))[15] .

والعمل الإيجابي البناء عند بديع الزمان يقوم على خمسة أسس هي :

1- الاحترام المتبادل
2- الشفقة والرحمة
3- الابتعاد عن الحرام
4- الحفاظ على الأمن
5- نبذ الفوضى والغوغائية، والدخول في الطاعة[16].

تشكل هذه الأسس الخمسة حصنًا منيعًا يذود عن المجتمع الفرقة والانقسام، ويحفظه من الفوضى والانهدام .

ويوضح بديع الزمان لأولئك الذين يستخدمون العنف والإكراه في سبيل الحفاظ على المجتمع، والوصول إلى اتفاق، بأن الاتفاق من الله ولا يتحقق بالتخويف والعنف إنما يتحقق بشيئين اثنين هما :

1- الرجوع إلى الله تعالى وإلى شريعة الرسول ρ والنظر إلى ما هو متفق عليه من المقاصد.

2- المساواة التي يضمنها الإسلام للمسلمين جميعاً دون فرق بين كبير وصغير وغني وفقير ورئيس ومرؤوس.

يقول في المكتوب الثاني والعشرين : ((نعم! إن الإيمان بعقيدة واحدة، يستدعي حتماً توحيد قلوب المؤمنين بها على قلب واحد، ووحدة العقيدة هذه، تقتضي وحدة المجتمع. فأنت تستشعر بنوع من الرابطة مع من يعيش معك في طابور واحد، وبعلاقة صداقة معه إن كنت تعمل معه تحت إمرة قائد واحد، بل تشعر بعلاقة أخوة معه لوجودكما في مدينة واحدة، فما بالك بالإيمان الذي يهب لك من النور والشعور ما يريك به من علاقات الوحدة الكثيرة، وروابط الاتفاق العديدة، ووشائج الأخوة الوفيرة ما تبلغ عدد الأسماء الحسنى. فيرشدك مثلاً إلى : أن خالقكما واحد، مالككما واحد، معبودكما واحد، رازقكما واحد.. وهكذا واحد واحد إلى إن تبلغ الألف. ثم، إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة. ثم، إنكما تعيشان معاً في قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة، في بلاد واحدة.. وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة))[17].

ويقول أيضاً : ((في جامع العبادة يتساوى الملك والمتسول فلا امتياز، بل المساواة الحقة دستور قائم. لأن الأكرمَ عند الله هو الأتقى، والأتقى هو المتواضع، فبناءً على هذا يتشرف الشخص بانتسابه إلى هذه الجماعة الخالصة لخدمة الدين والدعوة إلى الآخرة))[18].

وحتى يتسنى لنا تطبيق الأسس الخمسة المتقدمة فلا بد من التربية الدينية الصحيحة، وهي في نظر بديع الزمان تتمثل في تزكية النفس، ويعبر عنها أيضاً بجهاد النفس، أو بالجهاد الأكبر، ويعطينا بديع الزمان – قدس سره – دروساً عظيمة في التزكية فيقول : ((إن كنت تريد أن تعادي أحدًا فعاد ما في قلبك من العداوة، واجتهد في إطفاء نارها

واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضرراً عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك، فقاوم هواها، واسْعَ إلى إصلاحها، ولا تعاد المؤمنين لأجلها، وإن كنت تريد العداء أيضًا فعاد الكفار والزنادقة، فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر.

وإن أردت أن تغلب خصمك فادفع سيئته بالحسنة، فبه تخمد نار الخصومة. أما إذا قابلت إساءته بمثلها فالخصومة تزداد. حتى لو أصبح مغلوباً – ظاهراً – فقلبه يمتلئ غيظاً عليك، فالعداء يدوم والشحناء تستمر، بينما مقابلته بالإحسان تسوقه إلى الندم، وقد يكون صديقاً حميماً لك، إذ إن من شأن المؤمن أن يكون كريماً، فان أكرمته فقد ملكته وجعلته أخًا لك، حتى لو كان لئيماً – ظاهراً – إلا أنه كريم من حيث الإيمان، وقد قال الشاعر :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

نعم، إن الواقع يشهد : أن مخاطبة الفاسد بقولك له : إنك صالح، إنك فاضل.، ربما يدفعه إلى الصلاح وكذا مخاطبة الصالح : إنك طالح، إنك فاسد.، ربما يسوقه إلى الفساد، لذا استمع بأذن القلب إلى قوله تعالى:

{ وَإِذَا مَرّوُا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً }[19]

{ وَإِنْ تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتغْفِروُا فَإِنَّ الله غَفُورٌ رَحيمٌ }[20]

وأمثالها من الدساتير القرآنية المقدسة، ففيها التوفيق والنجاح والسعادة والأمان))[21].

ويقول أيضاً: ((إن مشربنا :محبة المحبة، ومخاصمة الخصومة، أي إمداد جنود المحبة بين المسلمين، وتشتيت عساكر الخصومة فيما بينهم))[22] .

وبهذا يكون بديع الزمان قد أبدع في تشخيص هذا المرض المستشري في الأمة ووضع له العلاج الناجع بإذن الله .

الفصل الثاني

العنف بين المسلمين وغيرهم، أسبابه وعلاجه من منظور رسائل النور

أولاً: الأسباب:

يرجع بديع الزمان أسباب العنف عند غير المسلمين إلى أسس خمسة قامت عليها مدنيتهم " فنقطة استنادها – كما يقول بديع الزمان – القوة بدل الحق، وشأن القوة الاعتداء والتجاوز والتعرض، ومن هذا تنشأ الخيانة. هدفها وقصدها: منفعة خسيسة بدل الفضيلة، وشأن المنفعة: التزاحم والتخاصم، ومن هذا تنشأ الجناية.

دستورها في الحياة: الجدال والخصام بدل التعاون، وشأن الخصام: التنازع والتدافع، ومن هذا تنشأ السفالة.

رابطتها الأساس بين الناس: العنصرية التي تنمو على حساب غيرها، وتتقوى بابتلاع الآخرين وشأن القومية السلبية والعنصرية: التصادم المريع، وهو المشاهد، ومن هذا ينشأ الدمار والهلاك.. وخامستها: هي أن خدمتها الجذابة، تشجيع الأهواء والنوازع، وتذليل العقبات أمامهما، وإشباع الشهوات والرغبات، وشأن الأهواء والنوازع دائماً: مسخ الإنسان، وتغيير سيرته، فتتغير بدورها الإنسانية وتمسخ مسخاً معنوياً))[23].

ويقول أيضاً: ((إن سياسة المدنية الحاضرة تضحي بالأكثرية في سبيل الأقلية، بل تضحي قلةٌ قليلة من الظلمة بجمهور كبير من العوام في سبيل مقاصدها))[24].

أما مدنية القرآن الكريم عند بديع الزمان فهي إيجابية" لأن **نقطة استنادها** – كما يقول رحمه الله – الحق بدل القوة، ومن شأن الحق دائماً: العدالة والتوازن. ومن هذا ينشأ السلام ويزول الشقاء، **وهدفها** : الفضيلة بدل المنفعة، وشأن الفضيلة: المحبة والتقارب، ومن هذا تنشأ السعادة وتزول العداوة، **ودستورها في الحياة** : التعاون بدل الخصام والقتال، وشأن هذا الدستور: الاتحاد والتساند اللذان تحيا بهما الجماعات، **وخدمتها للمجتمع** : بالهدى بدل الأهواء والنوازع، وشأن الهدى: الارتقاء بالإنسان ورفاهه إلى ما يليق به مع تنوير الروح ومدّها بما يلزم، **رابطتها بين المجموعات البشرية** : رابطة الدين والانتساب الوطني وعلاقة الصنف والمهنة وأخوة الإيمان. وشأن هذه الرابطة: أخوة خالصة، وطرد العنصرية والقومية السلبية.

وبهذه المدنية يعم السلام الشامل، إذ هو في موقف الدفاع ضد أي عدوان خارجي)) [25].

ويعتبر بديع الزمان أن الإسلام والقرآن بريئان من سياسة العنف التي يتخذها بعض المسلمين جراء مصلحة شخصية أو أنانية مقيتة أو جهل وتعصب ذميمين، وهذه السياسة هي التي جعلت أوربا تظن أن الشريعة هي التي تمدّ الاستبداد بالقوة وتعينه. حاش وكلا.. إن الجهل والتعصب المتفشـــيين فينا قد ساعدا أوروبا لتحمل ظناً خاطئاً من أن الشريعة تعين الاستبداد)) [26].

ثانياً: العلاج:

يرى الشيخ بديع الزمان أن علاج الخلاف مع غير المسلمين لا يكون بالعنف إلا في حالة الدفاع ضد العدوان الخارجي فقط، أما فيما عدا ذلك فإن الحرب لها أضرار بالغة على المسلمين، الذين يضطرون إلى الذهاب إلى الحرب تاركين الخدمة القرآنية المقدسة وهي خسارة فادحة للمسلمين.

وقد اتخذ بديع الزمان رحمه الله في جهاده أعداء الإسلام منهجاً فريداً متميزاً يتلخص في تعليمهم حقيقة الإسلام وإقناعهم بأنه دين محبوب وسام.

يقول رحمه الله: ((أما الجهاد الخارجي فنحيله إلى السيوف الألماسية للبراهين القاطعة للشريعة الغراء. لأن الغلبة على المدنيين إنما هي بالإقناع وليس بالإكراه كما هو شأن الجهلاء الذين لا يفقهون شيئاً)) [27].

ويقول أيضاً : ((إن الإسلام والقرآن الكريم بريئان بلا شك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة ولا مع الإنسانية ولا مع أي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق. ولا يتنازلان ولا يتذللان لمعاونة أولئك)) [28].

وبهذا يكون بديع الزمان رحمه الله وقدس سره قد وضع يده على جرح الإنسانية الغائر، ووصف له العلاج الشافي بإذن الله تعالى .

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت لتقديم لمحات من فكر بديع الزمان وموقفه من العنف الذي تميز بشمولية النظرة وعمق الفكرة وإيجابية المضمون، ولو أراد العالم السلام

لاتخذ من هذا الموقف دستوراً عالمياً ؛ لأنه يوفر الأمن والسلام والاستقرار، ويضمن لكل طرف حقوقه ويصون له ممتلكاته .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين

الهوامش

(1) المراد بالداخل أي الدول الإسلامية .
(2) السيرة الذاتية 137 .
(3) المرجع السابق نفسه .
(4) صيقل الإسلام – الخطبة الشامية 527.
(5) سعيد النورسي لأورخان محمد علي ص 114.
(6) اللوامع 863.
(7) صيقل الإسلام/الخطبة الشامية – ص: 527
(8) سيرة ذاتية – ص: 470.
(9) سورة هود 118 .
(10) سعيد النورسي لأورخان محمد علي ص 114.
(11) المكتوب الثاني والعشرون 341.
(12) الخطبة الشامية 20.
(13) الأنعام 164 ، الإسراء 15 ، فاطر 18 .
(14) سيرة ذاتية – ص: 469.
(15) سيرة ذاتية – ص:470.
(16) الشعاع الرابع عشر ص 406.
(17) المكتوب الثاني والعشرون 341.
(18) صيقل الإسلام / الخطبة الشامية 537.
(19) الفرقان : 72 .
(20) التغابن : 14 .
(21) المكتوب الثاني والعشرون 343.
(22) صيقل الإسلام / الخطبة الشامية 532– السيرة الذاتية 102.
(23) اللوامع 855.
(24) اللوامع 862.
(25) اللوامع 855.
(26) سيرة ذاتية 83.
(27) صيقل الإسلام / الخطبة الشامية 535.
(28) ملحق قسطموني 203.